

حبر

شعر وخواطر



سفیان لشهب



عبر

2020-2025

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ

تقديم

ماذا لو كانت حياتنا عبارة عن حبرٍ متناثرٍ
في ورق، نكتب ما نريد بالأسلوب الذي نريد،
ولكن هناك شيء لا نستطيع تغييره ولا
التحكم فيه ولا التصنع فيه.
وإن كان هذا الأخير ممكنًا، وهو كذلك، فلا
روح فيه، ولن يعود علينا بشيء، لأنه يبقى
مثل تلك المزهريّة الفارغة... جسد بلا روح.
هكذا هي المشاعر، إنها تلك الكينونة في ذاتها

التي لا نستطيع التلاعب بها، وإن كان من
أسمى الأمور في هذه الحياة لكان التعبير عن
هذه المشاعر، التي أحيانًا قد تكون إيجابية
وتارةً أخرى سلبية، حسب فهم كل شخص
وحسب كل سياقٍ معين، الذي بدوره تحكمه
عدة متغيرات دخيلة.

وعليه، هناك من يعبر قولاً، وهناك من يعبر
بأفعاله، وهناك من أخذته الأيام مبحراً في
لياليها المظلمة، معبراً عما يجول في خاطره،
الذي قد يكون مكسوراً، والذي قد يكون مفعماً
بالحب والبهجة.

أنقذه حبره من ظلامه، فجعل منه جناحًا يحلق
به في أعالي السماء، ما نظر له ناظر وما
أبصره مستبصر إلا مفكر، أخذ حبر مشاعره
متدبرًا إياه، متسائلًا: ما الذي يمكن أن يجعل
الإنسان يكتب تعبيرًا هكذا؟ الحب، الكراهية،
الحزن، الوحدة؟ أم هو شيء يراه فقط من
يحمل على عاتقه ذلك الحبر؟

وما نحن إلا قراء ننتقد ما يكتبه الآخرون،
غير مدركين للحقيقة التي تكمن وراء
الأسطر، وبالأساس كيف يمكن للإنسان أن
يصبح شاعرًا دون مرجع، حسب ما يقولون؟
وهل في الأصل من ابتداء هذا المجال كان له

مرجع، أم كان هو أيضًا حبيس مشاعره التي
أشعلت نارًا في صدره وأراد إخراجها؟

إذًا، هل الشعر هو ما يشعر به الإنسان من
مشاعر، معبرًا عنها بأرقى الكلمات وأجمل
القوافي؟

أهلاً وسهلاً بك يا من صبّت عيناك على
حبري.

باب الشعر والغزل

شمسٌ سطعتُ، وفي وجهي أشرفتُ،
وما كانت لي يدٌ إلا أن ابتسمتُ.

فهل تُرى أحدثتُكم عن القمر المضيء، وعن
نوره المنير؟

وما كانت لي يدٌ سوى الشعور بالحب
والحنين.

فوق قاربي الصدى، وعلى بحر مشاعري
الميتة، أجرف بيديّ داخله، ساحبًا خواطرَ
ذات وعيٍ تستطيع مداعبة قلوبكم الصدئة

نظراتُ احتشامٍ تَعْلُو بابتسامَةٍ مشرقةٍ
كالشمس، لن تقدر على إشاحة ناظر قلبك
عنها، وبدون وعيٍ تجد نفسك متبسماً لها،
فتكون قد وقعت في هيام جمالها؛ فَنِعَمَ الفتاةُ
المحتشمةُ المصونةُ لنفسها.

بزوغ القمر

هل أحدثتكم عن قمري البعيد، ومسكن قلبه

القريب؟

أنر بؤبؤ عيني الكفيف، فإني لمنتظرٌ نورك

العفيف.

شعري حفيفٌ في السماء الفانية، وأنتم

تقرؤون من الأبواب العالية.

تلك... تلك الفتاة التي تقطن ما وراء الحجاب،
أخبرونا بأن شلال الحب لن يسقيها حتى
يراهها، وماذا عساي فاعلاً؟ أنا الذي أسبحتُ
في بحر الحب، الحارقة مشاعره،
فأين أنتِ يا حورية البحر؟

تعالى إلى أحضاني، إني أفتح لك أبواب

السماء،

وجوارحي خلفها سيوفٌ مستقيمةٌ ترغب في

الحديث،

ترغب في الحديث لرؤية المحبوب،

الذي سيعمر عرش قلبي.

أخبروها أن ابتسامتها خيرُ جوابٍ يسطع في

وجهي،

وبلسانِ المتنبّي سأُتبنى أجملَ الكلمات،

وأجوبكِ كما تجوبُ السفنُ البحارَ،

فاعلمي أنه لا مهربَ لكِ.

أعلم أني أملك مفاتح أبوابك الذهبية،
وزخرفتها العربية، فاستقبليني بابتسامتك
الجليدية، إنني لمعانقك بحرارة أبداني
الأزلية.

أنتَ كتابُ حياتي الذي لا نهاية له،
غلافك شرنقةٌ حريريةٌ، وكلماتك فراشةٌ
ملكيةٌ،

تنتقل من صفحةٍ إلى أخرى، تُلَقِّحُ أزهارَ
مشاعري الأقبوانية.

قرأتك وتأمّلتك، فإذا بي صرْتُ حبرَكَ
الهجين.

كيف لي ألاّ أحبكِ، يا من ابتسمتُ عيناَي من
أجلكِ؟ كيف لي ألاّ أحبكِ، وأنتِ التي سقيتيني
من مائكِ العذب، فأنبئتُ به مشاعري؟
كيف لي ألاّ أحبكِ، وأنتِ التي أضأتِ غرفةَ
قلبي المظلمة؟

صاحبةُ أعينِ الغزال تُغازلني بنظراتها
الجميلة، وانحناءِ رموشها البارزة التي تبرز
من خلال عينيها السوداءوين، كجنينٍ في رحمِ
أمه. أما لوُنُهما، فعسلٌ أشتهيه كلَّ يوم،
وأما ابتسامتهما ولغتهما، فبحرٌ أطفو فوقه كلَّ
يوم. فماذا أنا فاعل؟ استحيا عقلي، واشتكي
قلبي، وأعينُ الغزالِ لا تزال تجذبني كما
يجذب القمرُ البحرَ نحوه.

عن أيِّ سعادةٍ هي؟
هي سعادةٌ وُلدت من حزنٍ تعزَّزَ بقطراتِ
البكاء الصامتهِ.

أخبروها أن ابتسامتها وغازلَ عينيها
الساحرتين شعلَةٌ مضيئةٌ تُنيرُ مسامعَ
مشاعرِي،
فأخبروها ألا تبخل عليَّ.

أخبروها: إن حزنْتُ أكثرَ، وإن فرحتُ أكثرَ،
أخبروها أنها ليس عليها أن تُصدّقني، فحبرُ
مشاعري سيلامس قلبها.

أخبروها أني لطالما أخبرتُ نفسي أنني مُخبِرٌ
عمّا يجول داخلي، خشيتُ التعبيرَ، وها

أخبروها، أنا من يراها من وراء الحجاب،
أنها جمالٌ لا يُعوّض،
وروحٌ نشطةٌ لا تُوصَف.

ففي الحكمة هدوء، ولكن ليس كلحظات
ال_____كسوف،
فلا حزن يعلو الوجوه، ومن تحمّل صعابَ
حياته حمل على عاتقه حجرَ الحكمة.

أخبروها أن من أحبَّ من باب الصدق صار
ظلاً لك نهاراً،
أخبروها أن الأمان ينظر إلى عينيها دواءه،
فما عليها سوى أن تأمن بذلك.

رأيتُها، فرأتُ من خِلالِي،
ناظرتني بنظراتِ غزالِ عينيها،
فضحَّت فيَّ نبضاتُ قلبِ تسري في جسمي.

صراحتُها تُخجلني،
وأما اهتمامُها فيجذبني،
ولا أنسى ملاحظتها للأشياء التي تُدهشني.

يا من أخذتِ فكري، خذيني حيث رحلتِ
وارتجالي،
فإني أهواك كما يهوى الظلُّ نورَ الشمس.

عن أيِّ ظلِّ أحدتاك؟
هو ظلُّ سيطلُّ عليك أشعةَ الشمس،
ظلُّ يُناظرِك ليلاً ونهاراً وأنتِ لا ترينه.

دعينا نركب موجَ البحرين من حزنٍ وفرح،
فلا عيب في ذلك، يا من تبئيتِ الفطنةَ
والجـمـال،
لتتبئي خواطري حتى تكون شعلَةً تُنير
جوارحك.

هي حوريةٌ بحرٍ ذاتُ حجابٍ...
ذاتُ حجابٍ يحجبُ من لم يتمَّ اختياره من
مملكة الحب،
فمن رآها رأته أولاً، ومن أحبها أحبته أولاً.
نظراتُها أمواجٌ هادئةٌ تُداعب جوارحك،
وصوتُها كصوتِ البُرُق، يخلو بكل خلوةِ
الذات.

دعيني... دعيني أكون أغنيةَ حياتك،
فأنتِ لحنٌ... لحنٌ يحنُّ إليه من وقع على
مسامعه.

كوكبةُ الجمال، أعلمُ ذلك، إنها هنا...
كوكبةُ الجمال تُناظرني بغزالِ عينيها
الجميلتين.

أنا لستُ مرتبِّغًا ولا متوترًا،
إنما أبداني وجوارحي تُخاطبني ارتجاعًا
بحضورها.

أعلمُ ذلك... كيف لا، وأنا أرى نفسي في
قفصِ عينيها؟
فإذا بها مرآةٌ تعكس ضوءَ القمر،
ورموشُها في قلبي جمرًا،
وسَطَ صدري صمتٌ كجبل.

كوني لي حبيبةً كما شاء القدر،
ولا تتركيني وحيداً بلا قمر.

وفي منتصفِ الليل، كوكبةُ الجمالِ جالسةٌ
تحت ضوء القمر،
والألحانُ الكلاسيكيةُ تُحاور آذانها، فهل هناك
من مستمع؟

مشطها فوق شعرها يمشط الهيام من أعلى
حريـرـهـا،
فاسألوا مشطها لعلّه يُخاطبكم عن جمالها.

يا ذاتَ الوجهِ البشوشِ والنورِ العفيفِ،
خبريني كم من كفيفٍ رأى جوهرةً جمالك؟
ولأنني واحدٌ منهم عندما لا تكونين بقربي،
إني لأراكِ بأعينِ مخيلتي.

بحر الحب

جالسةٌ أمامي، تُناظرني بغزالِ عينيها
الجميلاتين،
وابتسامتها البديعة تنعكس من خلالها روعي.
غرقتُ في بحرِ حبها وأنا لا أُجيد السباحة،
وما أبتُ مشاعري الهدوء.

ولا تزال تُناظرني، تلك ساحرةُ الأعين،
أعجزُ عن التعبير عمّا يחדش مشاعري،
وهي تتلهّف من أجلها.

إلى أين؟ إلى أين آخذك، يا ذاتَ الجمالِ
الماكر؟

إني لونٌ من فنون الإقناع،
ونظرائك تطفو في القاع،
فكيف لي أن أنفي سحرَك الإقناعي؟

يا ليت غزلي يسري في جوفِ نخاعك منيرًا،
فلا تفارقيني، فأنا في بُعدك لحزين،
وإن كنتُ حيًّا لأعي، فلا أريد رؤية الضوء.

إني لك لعاشق،
وسهامُ حبك لي مخترقة،
وإن لقلبي لها نوافذ.

أنتِ ملكةُ مملكةِ العشق، وأنا أعظمُ العاشقين،
ف_____ي_____ه_____ا،
فاحكمي بحكمكِ يا قانونَ العشق، إني لمنتظرٌ
عدالتكِ فيها.

إني لفي سجنِ محبتكِ راغبٌ،
فلا تعفي عني، فلا أكوننَّ مجرمًا فيها.
أجيبيني، يا من جابتكِ شِعْرُ الكلمات،
وبسلطانكِ تجوبين فيها.

لوحةٌ فنيةٌ...
أنتِ لوحةٌ فنيةٌ منحوتةٌ في جدار قلبي، متأنيةٌ
وعيونِي طاغيةٌ، تأتي إليكِ ساميةً،
وفي طياتها نجمٌ سامٍ.

وأنتِ تُناظرينها، يا ذاتَ الأعينِ الغالية،
فهل لي أن أكون ساعياً لفنكِ العتيق، يا
غالية؟

ومن بحث عن الحب الحقيقي قتلته سيفُ
الـحـقـيـقـة،
ها هنا في المدينة الفاضلة.

وعن أيِّ حبِّ أنا متحدث؟
هو حبُّ متجسِّدٌ في زهرةٍ تنتظرُ لقاحها من
ملكةِ النحل، المبجَّلِ مقامُها.

فهل لملكةِ النحل أن تُسْعِفنا؟
فأرضُ الحبِّ تعجُّ بالزهورِ العازبةِ التي تقاوم
مرارةَ الزمنِ كي لا تذبل.

أعيني لك مُبصرة، وجوارحي لك مُعبّرة،
رأيتُك في السماء العالِية، مضيئةً كمنارةٍ
لـيـi
عيناك ورقٌ من خشب، وحبّي لك عطرٌ من
حطب.

أنا بحرٌ لا متناهٍ من الشعر والغزل،
وأنتِ غيمٌ تُمطرُ فوقِي.

وتعنفني بتعابيرٍ بليغةٍ معانيها،
وأنا جنديٌّ ضعيفٌ أمامَ حدةِ سيفها،
تطعنني ثم تطعنني،
وأنا مُخدَّرُ الأبدانِ لها، مستسلم.

وما اتخذتُ المقاومةَ مبدأً إلا لكي أخونها
قائلاً:
أسف، إنني لأضحيةٌ من أجل حبها،
وأنا أنزفُ الدفءِ دماً من دمائي.

عانقتك في أحلامي، يا أحلى حلم،
وفي رمضان، بحبك زرتُ أعلى القمم.

ووجودك كوجود القمر، يا أحلى الفتن،
تسطعين بنورك ليلَ نهار.

أنتِ القمرُ الأحّاذ، يا أحّاذة القلوب،
عينك عينُ الرحمة، وفي وجهك نور.

فكفاك تنوّراً، سبحان من زينَ وصورَ جمالك،
والأنوثةُ فيك عنوانُ لها.

وختامُ شعري ختامُك أنتِ.

حبي لكِ جعل مرآةً روحكِ تعانقُ أحلامي،
وإن لدموعكِ قطراتٍ خلاصٍ قلبي.
لا أخشى شيئاً بقدر ما أخشى فقدانَ رابطةِ الخيطِ
الذي يربطنا.

عن أيِّ براءةٍ هي؟

هي براءةُ أعينِ الغزال، تلك التي تُخاطبني
بشعرِ نظراتها الجميلة.

الصمتُ يعلو وجهي، محاولاً إخفاءً ذلك
الإعصار الذي يصرخ،
راغباً في احتضانك.

يا من ابتدأت قصتنا بنظرةِ الغريب من بعيد،
والآن صارت غمداً يحمل سيفَ العشق.
يدي فوق يدكِ معاً، دعينا نشقُّ طريقاً بسيف
العشق،

مُحمّلين بأسلوبِ الحركة الواحدة،
فلا رجعةً في سحب السيف.

أنتِ فقط لا تُدرِكين، يا ذاتَ القلبِ الدافئِ،
أنا أعلم بـريشكِ الذي يطفو فوق مياهِ البحرِ
الـحـزـيـنِ،
وشخصيتكِ طفلةً بريئةً بوجهها المستنير
الحنون.

أنتِ يا ذاتَ اللونِ الأسمرِ في الأعينِ السوداء،
ويا ذاتَ البياضِ في الأعينِ البيضاء،
حَمَلِقي بطيفِ ألوانكِ الخفية،
فلا أحدَ ينظرُ إلى بصيرتكِ الحقيقية.

ولو أردتُ أن أكتبَ عنكَ،
لكانَ القلمُ حبراً يدمعُ،
وما أنا إلا في هيامِكِ الخلابِ أخشعُ.

بمحبَّتِكِ تتسارعُ دقائقُ قلبي، وفي حضورِكِ
أسعدُ
وما أنا بناظرٍ إلا إلى عينيكَ،
خشيتُ فقدانَكِ طولَ الوقتِ خائفًا،
وما أنا بمفارقٍ لكِ.

أنتِ الأنسُ، والحزنُ الأذْفأُ،
أحببتُكِ حبًّا جمًّا، يا ذاتَ اللونِ الأسمرِ،
وما أنا بمحبٍّ لكِ إلا وسُمرَةٌ عينيكَ تلمعُ.

أردتُ دائماً لكِ أن أكون حاضراً،
فقال لي القدر: إن لكِ موعداً في النهاية،
فاصبر أيها البطل.

أعجوبةٌ كم أنتِ، يا ذاتَ القلبِ الذي يضحك،
إني لعاشقٌ لكِ، وأنا أزحف،
فاعشقينني كما شاء القدر،
وإني فيكِ لأجنُّ، يا من أعشق.

تجعليني أتبني المتنبي في أسطري،
فبأيّ جمالٍ أنتِ تسطعين،
والشعرُ والغزلُ لكِ ساجدين.

ليتني أكون عسلاً حُرّاً يشتهيهِ الجميع، ولكني
ها أنا هنا مختومٌ داخلٍ وعاءِ حبِّك.

فِداكِ

الصمتُ يعلو وجهي، والحربُ تجري في

ص_____دري،

وجنودي تُهلّل باسمك في جوفي، فأين

العدوُّ لأقتلنه برمحي؟

أنتِ مُلكي، ولا مالكِ سواي،

ومن هواكِ غيري، روحه بين عينيه،

تندلعُ معه حُممًا فِداكِ.

جميلةٌ مثلَ السماءِ الزرقاءِ الواسعة،
تمشي في رمالِ البحرِ الدافئة،
وهي تُناظر جمالها المنعكسَ في البحرِ
الـكـبـيـر،
ولا كبيرَ سوى هيامك، يا مملكةَ الهيام.

حوريةٌ بحرٍ... هي حوريةٌ بحرٍ ذاتُ حجابٍ،
ذاتُ حجابٍ يحجبُ من لم يتمَّ اختياره من
مملكةِ الحب،
فمن رآها رأته أولاً، ومن أحبها أحبته أولاً.

نظراتُها أمواجٌ هادئةٌ تُداعبُ جوارحك،
وصوتُها كصوتِ البُرُق، يخلو بكل خلوةِ
الذات.

دعيني... دعيني أكون أغنيةَ حياتك،
فأنتِ لحنٌ... لحنٌ يحنُّ إليه من وقع على
مسامعه.

أحلامي أحلامُ اليقظة، وإن لحبي لكِ لمعضلة،
حددتُكِ عن ليلةِ حلمي، وأن ملكةَ جمالكِ
تُخاطبني.

أبيتُ أن أستفيق من حلمي،
فلولا وجودكِ لقتلوني.

هي فقط... أريد أن أكتب عنها، أريد أن

أبحث عنها،

روحها في قلبي دائمة، وبعنادها تأبى

الخروج عازمة.

اتخذت من الشعرِ والغزلِ ملجأً،

وما خيرُ ملجأٍ سوى عينيكِ، يا بياضَ

الأعين.

حزنك حزنٌ كجبلٍ يبكي في ليالي القمر

المظلمة،

وفرحتكِ شمسٌ دافئةٌ تُدْفئُ القلوبَ المثلجة.

أجيبيني... أجيبيني يا ملكةَ الجمال،

فقلبي صقيعٌ على وشكِ الانحلال،

فلولا وجودك لأخذتُ الهلالَ راکبًا، باحثًا
عني يا أجمل هلال.

لا زلتُ أكتبُ عنك وأبحثُ عنك في نفسي
التي وجدتها،

فأين أنتِ، يا أيتها الصفحة الأخيرة؟

كلما قرأتُك، زادت صفاتك حبًا في وجهي،
إني أحببتُك يا ذاتَ القلبِ البشوش، فأحبيني،
إني لمجنون.

ابتهجي، لأنني سأجعل من كلماتي العذبة نهرًا
تسقين به نفسك كلَّ يوم.

لأن روحك جميلة، أحببْتُها كما أحببْتُكِ أنتِ،
وجدتُ في روحك الحِشمةَ والحِكمةَ تُناظراني
من حبلِ الوريدِ.

ولا احترامكِ لنفسكِ أشعر بالخجلِ والحبِّ
بـ_____ق_____ر_____ب_____كِ،
واعلمي أن ابتسامتكِ حقيقيةٌ، وأكثرُ من ذلكِ
جميلةٌ.

فمبادرتُكِ بالتبسُّمِ في وجهي تجعلُ من قلبي
متبسِّمًا لكِ أيضًا.

أعلم أني أملك مفاتيح أبوابك الذهبية
وزخرفتها العربية،
فاستقبليني بابتسامتك الجليلة،
فإني مُعانقٌ لكِ بأشعةِ أبداني الأزلية.

الشمسُ والقمرُ ينظران، وبنورهما
يسطعُ عَـان،
أعيني لهما تُبصر، وجوارحي حولهما
تخطب.

شعري تحت لساني ينتظرُ الدخولَ إلى
قلبك المنصهر،
فيا ذاتَ الجرحِ العميق، لا تتحدثي
بكلامٍ عتيق،
إنكِ لزلزالٌ فوق قلبي الرقيق.

وجدتُكِ عبر وجدانكِ المستتر،
وأحببتُكِ بجمالكِ المنتشر،
أكتبُ لكِ ما أنا كاتب،
وأغزلُ فيكِ بما أنا متغزل.

أنتِ يا بياضَ الحمام،
حلّقي بأجنحتكِ نحو القمر،
واجذبي قلبي كما يجذب القمرُ ماءَ
البحر.

عيشي في سماءٍ صافيةٍ،
حاميةٍ، عافيةٍ،
تليقُ بأخلاقكِ العالية.

أذوب في هواك... أذوب في هواك،
نحلة أنا في رحيق جمالك أبحثُ
عن عسلِ العقه فأتلذذ.

وأنا الحارسُ المبجل،
خشيتُ صاحبة البستانِ الذي هو لك،
مـتـرـيـبـاً،
فبروح شوكتي أخذتُ بالثار، وقلبي يشهد.

وقلتُ: نهايتي فِداك بروحي،
يا من لوئها أسمر.

وقعتُ غريقاً... فخذتُ السباحةَ قائلًا:
اتركيني أغرقُ في بحرِ الحبِّ هذا، فإني لها
لعاشقٌ.

شفاء

قلبي يحزن من أجلكِ،
ودموعي تصرخ من أجلكِ،
ومشاعري تفيض من أجلكِ،
وجسدي يخفق من أجلكِ.

وكلماتكِ نقشٌ فوق صدري،
ومشاعركِ غطاءٌ فوق كتفي،
وصراحتكِ غمدٌ لسيفي،
وأعينكِ غزالٌ يبكي.

فهل لكِ بإفراغِ ذلكِ الوعاء، يا أجملَ من
احتواه ذلكِ الوعاء؟
أنتِ روحٌ نقيّةٌ ذاتُ الشفاء،
ستكونين نجمًا يُحلّق في السماء.

لوحةٌ فنيّةٌ...
أنتِ لوحةٌ فنيّةٌ منحوتةٌ في جدارِ قلبي، متأنيةٌ،
وعيونٌ طاغيةٌ تأتي إليكِ مُبحرةً عاليةً،
وفي طياتها نجومٌ ساميةٌ.

وأنتِ تُناظرينها، يا ذاتَ الأعينِ الغالية،
فهل لي أن أكون ساعياً لفنكِ العتيق، ذي
القيمةِ الباهيةِ؟

أعيني لك مُبصرة، وجوارحي لك مُعبّرة،
رأيتك في السماء العالية، مضيئةً كمنارةٍ
لـيـلـيـة،
عيناك ورقٌ من خشب، وحبّي لك عطرٌ من
طيب.

رُزقتُ فيكِ حبًّا، ولتعلمي أن قلبي يهواك،
ولو مال قلبي عن هواك لنزعته، واشتريتُ
قلبًا في هواك لا يشبع.

أنتِ الوطنُ والحضنُ الدافئ،
وأنا الغربةُ التي تراقبكِ، والدمعُ في عيني
يذرف.

سألتُ عيناى: لِمَ البكاءُ فرحًا؟
فقالتا لي: هي السبب، فاستيقظ أيها الأهل.

أخذتُ بنفسى، والثقلُ من حولي يتربّع،
وفي حضرتها صرتُ طفلًا يتلعثم.

تُعاندني بعنادها، وأنا أترصد بعينيها،
منتظرًا الفرصةَ المناسبةَ لأجعلها تخجل.

أعبر لها عن حبي بالشعر والغزل،
وأنا أعلم أنها تجدد، وسيفُ نكدها فيّ،
وأنا مستسلم.

تعلمين أن فمي على مقربةٍ من قلبي، فلا
أستطيع الكذب،
عفويتي تغلبني، وصراحتي تعزلني،
أما جمالك فيغمرني، فكيف لي أن أقاومك يا
أنتِ؟

جمالها بحرٌ أنظره ليلاً ونهاراً،
فماذا أنا فاعل؟

أعرف السباحة، وإني على يقينٍ بغرقِي،
غيرَ مبالٍ بإنقاذِ نفسي،

إني لأموتنَّ غرقاً في هوائِك،
يا صاحبةَ المدِّ الجميلِ.

أنا المُحِبُّ الذي أحبَّ حتى جفَّ به عشقه،
وما عشقتُ إلا محبًّا في محبوبي،
الذي لم يعد له مكانٌ في صفحاتِ شعري.

فَعَن أَيِّ نَظَرَاتٍ هِيَ؟
نَظَرَاتٌ تَخْرُجُ مِنْهَا الْفَرِحَةُ... كُنْتُ أَسْعِدُ بِهَا،
وَبذَكَرِ الْأَمْرِ أَشْعُرُ أَنِّي أَحْمَقُ،
فَمَا أَكَلْتُ إِلَّا الْأَلَمَ وَالْحَزْنَ.

أَيْنَ أَذْهَبُ؟

أصبتُ قلبها، وما أبتُ البوحَ لي،
أخذتُ حبَّها، وما نظرتُ لي،
أخذتُ عقلها، وما استسلمتُ لي.

نظرتُ لها فابتسمتُ لي،
وعندها علمتُ ما خُبِّي لي،
عن اعترافها الذي لم يشفع لي،

وأنا على علمٍ بأنها لن تكونَ إلا لي.

وفي قعرِ الجُبِّ جبرتِ خاطري،
وما أنا كنتُ قادرًا على الرفض،
بموجبِ عاشقٍ.

عشقتُ هوائك، وما استوى هوائك في خاطري،
وما أنا بمفارقٍ لهذا الجُبِّ،
حتى يُجلدَ خاطري وأعودَ
منكسرَ القلبِ، ذابلَ المشاعر.

خلق الباب

باب الحواطر والآقوال

فقط بالألم والحزن يُحدِّثُ الإنسانُ نفسه.

الحكمة... هي الوجودُ الأسمى الذي يتواجدُ
ظُلُّها في ظلامِ دامسٍ،
تتمنى أن تتبناها في حياتك كي تُنيرَ خطواتك
الليالية.

أجل، هي مُصاحبةٌ لنا أينما رحلنا وارتحلنا،
وفي أيِّ وقتٍ،
ولكن لكي تستدعي الحكمةَ في كل موقفٍ
حكمةً مناسبةً،

يجب أن تستوفي الشروطَ المناسبةَ،

والتي يمكننا اعتبارها:
الصمت، والبصيرة، ومخزونُ فلسفتك
الواعية في الحياة.

ويعاتبونك بما ليس من سلطانهم، وأنفسهم
تُخادعهم بما ليسوا عليه قادرين عِلْمًا، متّكلين
على الغير ليصطاد لهم السمك.

أسبحتُ في وِحلٍ، أرادوا أن أكون ذلك
الشخص الذي يريدونه...
فانجرفتُ، وانجرفتُ، ثم انجرفتُ في ذلك
الوِحلِ،
إلى أن أنقذتني حرارةٌ وعيي بذاتي،
ذابَ الوِحلُ، وعدتُ إلى المنزل.

يا له من شعورٍ خلابٍ يغرسُ فيّ مخالِبَه
الداْفئة... .

اشتقتُ إليه، والدُمُ يذرفُ دمعًا من جسدي.

لا تتوقف، استمر يا بدني،

اذرفِ الدموعَ وإن كانت دمًا،

فلا مُبالاةً لضوء الشمس عند هطول المطر.

ابتسم... فالحزنُ حزني في جسدي،

والعزلةُ هناك تنتظرني.

أخبرها أنّ الحبَّ فيها أكثرُ من عدد...

تارةً أبكي، وتارةً أسجدُ في الأرض كالطفل

المدلل.

أفسح الطريق... فالحبرُ مصدره جسدي،
أكتبُ به الفعلَ والقول، ولا آبه أن ينتهي.

قال أحدُ الشعراء:

أردتُ أن أكتبَ عنها غزلاً وأصفها بالقمر،
فقلتُ: إن القمرَ يظهر في الليل فقط،
أما هي... ففي الليل والنهار لها أنا مُبصر.

فنفيتُ القمرَ من قمره،
وأصبحتُ هي قمري الوحيد.

صدقني... ليس كلُّ متحدثٍ يُحدِّثُك يهتمُّ
لأمرك.

كيف لك أن تضحك على فشل شخصٍ ما،
وهو لا يملك ما تملك؟

في الوقتِ الذي لم أجدُ فيه أحدًا بجانبِ،
وجدتُ نفسي.

غاب القمر، وأشرقت نفسي،
ولا زلتُ أراولُ نفسي كي لا تتيهَ طريقها.

فوق قاربي الصدى، وعلى بحرٍ مشاعري
الـمـيـتة،
أجرفُ بيديّ داخله،
ساحبًا خواطرَ ذاتٍ وعي،
تستطيع مداعبة قلوبكم الصدئة.

نحن في مرحلة الشرنقة، لنسمو بوعينا،
كي نكون عبرةً لأجيالنا القادمة،
ونمحو تاريخنا الجاهلي،
ونصبح نحن ركيزة المعتقدات السائدة.

أمل

وتبقى هذه هي الوسيلة الوحيدة لكي أخفف
عن نفسي ممّا أنا عليه؛
حبرٌ عقلي.

إنه حقاً لشيءٌ مؤسف أن يكون شخصٌ يتوقّع
منك شيئاً،
وتكون أنت بالفعل قد انطفأت تلك الشمعةُ
المصحوبةُ بإرادةٍ ذلك الشيء،
الذي قد تخليت عنه.

حيث إنك قد عشته العديد من المرات،
ولم تجن منه سوى المتاعب.

فكيف لك أن تقول له: آسف، لا يمكنني فعل

ذلك _____ مَجْدًا،

وهو يرغب في ذلك، مبتسم القلب؟

كيف _____ سترفضه؟

لم يسعني سوى النظر فقط...

ليلاً موسيقية...
فما حالُ هذا الهدوء الذي يصرخ؟
وسكينةٌ تسكنُ عظامي،
والكلُّ يغوص في أحلامه.

عسى أن تُسَلِّمَ نفسي نفسها للمحطة القادمة،
وعسى أن ينخفضَ جوهري،
فجوارحي لا تأبى المنام.

فما أنا فاعلٌ بلحنِ كلماتي الفاقدةِ سمعها؟
صرتُ أنا نفسي مقطوعةً موسيقيةً،
عذبةً المشاعر، لا أستطيعُ ملامسةَ حبِّها،
لأنني أنا هي.

ولكنني قادرٌ على مداعبة كلِّ من تبادرت إلى
مسامعِ قلوبهم،
بلحني الدافئ.

الحياة لا تُعتبر حياةً ما دمنا لا نفعل ما نريده
ف_____ية_____ا،
الحياة ليست حياةً عندما لا تُمارس ما نُكنّ له
الحب.

الحياة ليست حياةً عندما نتبع نمطَ حياةٍ تم
ابتكاره من السابقين،
الحياة ليست حياةً عندما نبني مستقبلنا من
خلال تجربةٍ قد عاشها شخصٌ آخر،
ونحن نعلم أننا مختلفون عن بعضنا البعض.

العيشُ في حياةٍ مبنيةٍ على مبادئٍ خاصةٍ أمرٌ

م—————ه—————م،

فبدون ذلك، يكونُ الأمرُ أشبهَ بجسدٍ دون

روح.

بكثره ما أصبح الحزنُ يملكني دائماً،
أصبحتُ كأنه طاقةٌ أعيشُ عليها.

حيث إن الحزنَ أصبح شيئاً عادياً لكثرةِ
حصصه،
فبفضله أنفردُ بذاتي،
وأفكرُ في العديد من الأمور: أصائبهُ هي أم
لا؟

فالتخلى بأنفسكم، فذلك تصفية للذات.

كيف لك أن تجعلها تثقُ بك، وأنت لا تثقُ في
نفسك؟

الحكمةُ تختارُ من يكون أهلاً لحملِ سيفها،
فكيف لأعمادِ صدئةٍ أن تتكلم، ولها الحقُّ في
التعالي؟

أحياناً يجب علينا أن نهجر من كنا نكنّ لهم
الصدق والمحبة،
لأن ذلك خيرٌ لأنفسنا ولأنفسهم.

فالعودةُ إلى الوراء ومحاولةُ تبرير الأمور
ستخلقُ تدقّقاً زمنياً آخر،
يولّدُ النزاعَ والحقَدَ فقط.

فإن تهجرَ شخصاً ما،
لا يحدثُ ذلكُ أبداً إلا وأنت تحملُ على عاتقك
مطريقةَ الحقيقة،
فتكونُ بهيئةَ القاضي،
تحكمُ على نفسك، وهو الآخر كذلك.

فلذلك لا عيبَ في الأمر،
فتلك من خصالِ الحكيم.

موسيقى إسبانية تسبح بي في بحر الأحزان...
لعل جهلي بكلماتها يُنقذني من وحلِ هذا
الحزن.

أجل، اللغة تختفي، ولكن اللحن والمشاعر
عناصرٌ متداخلةٌ فيما بينها،
تحت قيادةِ الدموعِ المُحلّقةِ بفرحها،
لندرةِ استيقاظها من جفافها العاطفي.

لا أعرف لماذا...

ولكن ركوبَ سفينةِ الحزن هذه هو حقاً لشيءٌ
يشبه شمساً مشرقةً في صدري،
تُدفئني بنورها،

وتأخذني دائماً لمزاولةِ نفسي وتبادلِ حديثِ
المشاعر.

الحزن... غريبٌ أمرُه حقاً،
ما هو الحزن على أيِّ حال؟

انتهت الأغنية، ولم ينتهِ خطابُ مشاعري
لكم،

يا من وطأت أعيُنهم على مقطوعتي الحزينة.

أردتُ التوقفَ عند هذا الحد،

لكن تدفّقَ مشاعري ينتشر في كل أنحاء

جسدي مع كل كلمةٍ أنحتها،

وكان صدري لوحةً خشبية،

وجسدي يجري عكس تياره الدموي.

لعللي أبالغ...

ولكن المشاعر لا تكذب،

كما لم تكذبوا أنتم يوماً في صدق كلماتي.

دُعيتُ مأمورًا لقصرِ السلطان،
فأمرتُ بإلقاءِ شعري له.

فقلتُ: يا سلطاني،

ليس لي سلطانٌ على شعري،
بقدر ما أنت سلطانٌ على السلطان.

السلطان: ومن سلطانٌ شعرك؟
أنا: مشاعري.

السلطان: وهل للشاعرِ مشاعرٌ بقدر ما أملك
من مال؟

أنا: لو كان مالكِ بقيمةِ مشاعري،
ما كنتَ لتتفضلَّ على عبدٍ يبرع في تحريكِ
فمه.

السلطان: ما الذي تحتاجه؟
أنا: وقتٌ، ولحظةٌ، وجوٌّ مناسبٌ يسمو
بمشاعري إلى الذروة.

السلطان: لك ذلك... جهّزوا المشنقة.
أنا: أتقتلني في نهاية الأمر،
كسائر الألسنة الحرة وأجسادها المقيدة؟
السلطان: أطربني.

أنا:
مشاعري... ويا لساني، ويا شعري، ويا
غزلي،
يبدو أن بحرنا قد تبخّر،
ونفسه يخرج كلماتي الأخيرة هذه.

اسمعني يا سلطان الأراضي...

الشعرُ هو شعرُ مشاعر،

وحديثُ مشاعر،

وليس قافيةً كافيةً لمعاني كلماتٍ حافية.

فهل الشاعرُ إلا من يكتب ويحفظ عن ظهر

قلب

ما لذّ ودبّ من عسلِ الكلمات،

راغبًا في محبةِ المالِ لسلطانهِ؟

وما كان لي سلطانٌ على مشاعري

إلا واستجبتُ لحبرِ كلماتها وسمكِ معانيها.

لستُ المتنبّي،

ولكنني أتنبّي ما لا يقدر على تبنيهِ أحد.

وأنت يا سلطاني...

أيُّ شيطانٍ تبنيتَ في حياتك؟

السلطان:

أنت شاعرٌ أم محاربٌ يحمل سيفَ شعره في

غمدِ مشاعره؟

أنا طلبتُ شاعرًا ليُطربني،

وليس ليُجعلني شاعرًا أيضًا!

أتخبرني أني سأشترى أنا أيضًا؟

سأريك من الشيطان...

السعادةُ بالنسبةِ لي هي السكينة،
وسكيني لن تسكنني حتى أتوقفَ عن إفرازِ
خوابتي.

مرت أيام وأسابيع، وها عقلي وقلبي، على
عاتقهما الكثير من الأفكار والمشاعر؛ كلُّ
على حدة يرغب في السفر عبر عقولكم
القاحلة مشاعرُها.

هيا، ما الذي تنتظره؟ أتريد أن تنفجر من
الداخل؟ دع ذلك النهر الذي خلف عينك
يزرف مياهه، ما الذي حدث لك؟ أترى ما
آلت إليه الأمور؟ لقد أصبحت مثل المنبّه،
تستيقظ على هذا الحال عند كل محطة ليلية،
إلى متى؟ إلى أين؟ أنت تدمر نفسك... إنها
مجرد ذكرى واحدة، ألا تستطيع حقًا العبور
فوقها؟ عد كما كنت... وجهٌ دون ملامح،
فذلك أفضل لك بكثير.

أن تسلك طريقًا تحبه خيرٌ لك من طريقٍ
يسيل لعبه حلاوةً، فالأحق أن يكون دائمًا
معتقدك واختيارك الخاص، وتكون أكثر
عطاءً فيه؛ حيث إن الاستمتاع بفعل ما تحب
يجب عنك الألم، وكأنك تمارس هوايتك
المفضلة.

وماذا عساي أن أفعل، وأنا الذي أسبح في
بحر الحب الحارقة مشاعره؟

كلها خواطر أُنجبت من لحن البيانو الهادئ،
ذو العزف البطيء، تُبحر، تُبحر بك بين
الحقيقة والوهم، فما الذي ستختاره؟

لست بمتنبي، ولكنني أتبنّي دائماً ما قد يصنع
لي جسراً من الرياح في حياتي اليومية.

ما هو ملكٌ لي وليس ملكاً لي؟
ذلك القمر الذي يملك الكون، ضوؤه وشكله
الذي يطغى على الكون؛ فيا مشاعري، عبّري
عن حبك له، ولكِ العون، إني لكِ لمستعانٌ
بحبر دمائي، ولكِ الكون، ولكِ الكون أمام
ورق الليل، فاكتبي باسم كوكبة العشق؛ إن
العشق يعشق فينا ما نعشق فيه.

كنت في بيت الوحدة لزمينِ طويل، ولكنني
تركت ذلك البيت أحد الأيام، فبنيت بيت
العزلة؛ كان عرشي الوحيد الذي أعتز به.
كنت كَتومًا، كثيرَ الصمت تحت قضبان
الأحزان، ليس لأمرٍ ما، لكن لم يكن لي من
أُحدّته وأشاركه ما في قلبي؛ لذلك ابتليت
بخواطرٍ وشعرٍ وغزلٍ أمدح به، وهم لا
يعلمون أن كلماتي هي فقط تجسيدٌ لمعاناتي.

آن الأوان لتتفتح أشجار الساكورا، ها هي
تتساقط الواحدة تلو الأخرى، ورقة وراء
الأخرى، والذكريات تطفو معها في نسيمه
العذب. تزيّنت طريق مشاعري بأزهارها
الوردية ألوانها، واعترت أغصاني من جديد؛
فأين الساقى من جديد؟

دقات قلبي تتسارع مثل عدّاد السرعة، ماذا
أنا فاعل؟ لقد طلبوا مني أن أقطف لهم فاكهةً
طازجةً من شعري البديع، فأزحت عقلي
وجوارحي، واستعنت باضطراب تعدّد
الشخصيات، رافعًا مشاعري تحت الضوء،
مقدّمًا لهم ما ألدّ ممّا أفقه، وخلف ظهري
الذئبُ الممطرةً أنيابها لعابًا، تنتظر مني
الانتهاء كي تنقضّ عليّ بأرائها الجاهزة.

الخوف يُكتسب، ويتم نفيه عندما تتقبل نفسك
كما هي؛ فحقيقةً لم أعد أُلقي بالألأ، لأنني في
ذاتي تقبّلت كلَّ شيء، وكلَّ ما قد يحدث لي
مستقبلاً، داخلياً أو خارجياً. ففي الأخير لن
نجني شيئاً، فلمَ لا نتقبل الأمر فقط؟ الأمر
أشبهه وكأنك تعلم أنك ستموت غداً.

كلّهُ بسبب الرغبة في التجربة، فهي ما جعلتنا
ما نحن عليه؛ لذلك لا تُجرب شيئاً قد يجعلك
تنظر إلى الأسفل مُدلىّ الوجه.

على العموم، السعي نحو المعرفة بمنزلة
تنظيف غرفتك وترتيبها يوميًا، أما الجهل
فهو اختيار الإنسان؛ فالجاهل لا يعرف شيئًا،
ولكن أكثر ما يعرفه أنه يظن أنه يعرف، بأن
الجهل صديقه، وقد اتخذ صديقًا له على
الرغم من المعرفة الكامنة في أنه سيكون
عالةً على نفسه؛ فلذلك الجهل اختيار قبل أن
يكون عارًا.

ها أنا ذا مجددًا، أُمسِكْ عقلي وأستجوبه عمّا
الذي فعله بروحي كي أشعر بهذه الأحاسيس
والمشاعر عديمة المصدر.

ومن بحث عن الحب الحقيقي قتله سيف
الحقيقة التي نعيشها هنا في المدينة
الفاضلة. عن أيِّ حبِّ أنا متحدث؟ هو حبُّ
متجسِّدٌ في زهرةٍ تنتظر لقاحها من ملكة
النحل، المُبجَّل مقامُها؛ فهل لملكة النحل أن
تُسعفنا؟ فأرض الحب تعجّ بالزهور العازبة
التي تقاوم مرارة الزمن كي تدبّل.

جفاف عاطفي

موسيقى إسبانية تسبح بي في الأحزان... لعل
جهلي بكلماتها يُنقذني من وحل هذا الحزن.
أجل، اللغة تختفي، ولكن اللحن والمشاعر
عناصر متداخلة فيما بينها، تحت قيادة
الدموع المُحلّقة بفرحها لندرة استيقاظها من
جفافها العاطفي. لا أعرف لماذا! ولكن
ركوب سفينة الحزن هذه هو حقًا شيءٍ مثل
شمسٍ مشرقةٍ في صدري، تُدفئني بنورها،
تأخذني دائمًا لمزاولة نفسي وتبادل حديث
المشاعر... الحزن غريب أمره حقًا. ما هو
الحزن على أي حال؟ انتهت الأغنية ولم ينتهِ
خطاب مشاعري لكم، يا من وطأت أعينهم

على مقطوعي الحزينة... أردت التوقف لهذا
الحد، لكن ثقل مشاعري ينتشر في كل أنحاء
جسدي مع كل كلمة أنحتها، وكأن صدري
لوحة خشبية، وجسدي يجري عكس تياره
الدموي! لعلي أبالغ، ولكن المشاعر لا تكذب،
كما لم تكذبوني أنتم يومًا في صدق كلماتي.

صدقني، لا أحد سيفهمك ويُقدّرُك غير نفسك
ذاتها.

الإنسان نفسه هو من اختار أن يكون ما هو
عليه؛ لأن... .

من البداهة أن أجالس المائدة قبل غروب
الشمس... ولكن اليوم مختلف؛ ها أنا هنا
أجالس مائدة أحزاني التي تشتهي أكلي... أنا
لست سوى وعاء، فهل سأكون قادرًا على
إشباع مائدة الفراغ هذه؟ هو حزن ليس كباقي
الأحزان التي كنت أخطبها بغرض الارتقاء
النفسي، بل هو حزن يقاتل... يقاتل من أجل
البقاء؛ فهل سأكون قادرًا على هضمه؟ هل أنا
حقًا في صراع مع ذاتي؟ هل سأقوى على
تخطي الأمر؟ أم يجب أن أتخلى عن الفوز
لأنني لن أقوى على السباحة في تيارٍ منعكسٍ
تياراته... أم أوكل نفسي للغريزة؟ التي هي
نفسها من أتت بي إلى هنا، وأسقيكم من

شتائي الحبرية... غريبٌ أمرها هذه المشاعر،
وكانها منبعٌ من ماء بحرٍ ميّتٍ لا يهتاج...
كعادةٍ، ليس لي خيارٌ سوى الأخذ، ركبًا هذا
البحر، حاملاً لكم ما لم يكن فمي قادرًا على
البوح به.

لم أعد قادرًا على التعبير عمّا أشعر به،
أصبتُ وكأنني شاعرٌ مطروّزُ الفم،
مشاعري توشك على الانفجار، وفمي أصبح
ثورًا عنيفًا بقوة رغبته في التعبير عمّا في
باطني. وما بال عينيّ التي جفّ نهرها؟ ولكن
على الرغم من ذلك، ها أنا ذا أنقش كلماتي؛
فمن الذي يعبر خواطري عبر يدي إلى ورقةٍ
إلكترونيةٍ ذات حبرٍ لا متناهٍ؟

مشاعر قابلة لأن تُفرز على شكل كلماتٍ فوق
الورق بحبرٍ أحمر لا يجف، وباستعمال
بعض الألغاز بين تلك الكلمات، تصبح أنت
الذي تبنيت المتنبى بين أسطرك، فلا شيء
يدعو للذهول.

جميعنا لدينا تلك الرغبة القوية في أن نعود إلى الماضي ونغيّر عدة أشياء حصلت، ولكن هذا لن يحدث؛ لأن تلك الرغبة القوية غير مصحوبة بإرادة، إذ إننا نعلم فعلاً أنه من المستحيل حصول ذلك. لذا، فالأفضل أن نحاول ما أمكن أن نكون حذرين في تصرفاتنا وقراراتنا المستقبلية، كي نجعل الحياة أكثر إشراقاً في وجوهنا.

يا ليتهم يعلمون أن السمَّ دواءٌ لكل ذات، فمن الطبيعي أن تكون مكروهاً لدى كل من لست بطلاً لهم؛ فكما جاء على لسان الفلاسفة، الطبيعة ليست خيراً أو شراً، هي فقط الاعتقادات والأحكام التي نحكم بها عليها: من خيرٍ ومن شرٍّ. فقد تأتيك الطبيعة بمطرٍ غزيرٍ ينعش الروح في الحقول الزراعية، وقد تأتيك بفيضانٍ يُتلف القويّ والضعيف.

قد يمنعك النور أحياناً من الرؤية، لذلك عليك
أن تتواجد في الظلام؛ فهو أرحم ببصرك،
وَمُشِحِدٌ لِسَيْفِ بَصِيرَتِكَ. فالنور مُشِحِدٌ
لبصرك، وصدأً فوق غمد بصيرتك؛ فما الذي
تفضّله... بصرٌ أم بصيرة؟

إنني أغرق مجدداً، غارقٌ في بحر أفكارٍ؛ فأين
منقذي يا أحزاني؟ ترينني في الزاوية جالساً
متحجراً من شدة البكاء... وعن أيِّ بكاءٍ
أتحدث؟ بكاءُ مشاعري تحت أسنة خواطري
الوعرة. اشربي قليلاً من نبع الحبر هذا، فنهر
عينيَّ صحراءَ قاحلة، تخلَّى عنها ساقبها، وها
هي هنا مغتربةٌ، وللمعجزات منتظرة.

مرحباً يا نصل الحبر
نصل الحبر: كيف حالك أيها الشاب؟
الشاب: أيها النصل، كنت أتساءل: ماذا تعني
أن تكون محبباً لشخصٍ ما؟ ما الذي يُثبّت
الحب؟ وما هو الحب أصلاً؟

نصل الحبر: هاهاهاه، حسناً أيها الشاب، أنت
مفعم بروح الأسئلة. في نظرك، ما هو الحب؟
الحب هو الشر والخير يا فتى، وكلُّ منا يعيش
الخير والشر في حياته؛ فأنت، وكيف تعاطيت
مع الخير والشر، ستبني أفكارك حول ذلك
الشيء. أجل، تماماً كالحب؛ فإن عشت عذاباً
فستعتبره شراً، وإن عشته مبتسم القلب
ستعتبره خيراً... لا بل أكثر من ذلك، ستصبح

شاعرًا تتقاطر الكلمات من فمك كالعسل،
مُذهبةً العقول؛ ستصير بركانًا من المشاعر
يعبر عن حبه لشخصٍ واحد فقط... ولكن كما
قلت، ما الذي يجعل من هذا الحب حبًا حَقًّا؟
ما مصداقته؟

لكن كل ما أتذكره يا فتى هو أنني لم أكن على
وعي بما يحصل معي وأنا بجانب من أحب؛
لذلك أعتقد أن الحب مخدّر... مخدّر من
كوكب الزهرة، وما أدراك ما كوكب الزهرة!
وبينما كنت مستلقيًا أتأمل تلك النجوم العلياء،
كنت أحاول أن أُخرج شعراً عنها، ولكن يبدو
أن ذلك قد نفذ، وحتى النحل الذي كنت أُرعاها

تركني... هذا ما يعنيه ألا تعود محبًا لشخصٍ
ما.

ولكنك لست شعارًا يا فتى، لذلك إن حدثت
معك قصة ما، فستكون مختلفة عمّا عشته أنا؛
لأن هذا ما يميزنا نحن البشر، وهو
الاختلاف.

إنها ليلةٌ أخرى... كالعادة، أُشغِلُ تلك
الموسيقى ذات اللحن الحزين، التي تجعل
مشاعري ترقص فوق قلبي، وتفيض بأفكارٍ
لا متناهيةٍ وليس لها جواب... فقط أتساءل:
كيف؟ ولماذا؟ وكأن الأجوبة أرادت أن
تُداعبني.

مرت فترةً طويلةً جدًّا حتى جفت عيناى،
ونهرى الذى أصبح قاحلاً، وعاجزاً عن
إدراف دموعه. افنقت السبب الذى كان
يُحرِّك مشاعرى، ويجعل خواطرى تتراقص
فوق لسانى. اشتقت لذلك حقًّا، صرتُ وكأننى
أرضٌ تخلت عنها بركة الإله؛ ما عساى أن
أفعل مجدداً كى تزهر مشاعرى؟

التمثّل بالصمت، والاتكال على التحمّل،
والكبت الداخلي للمشاعر، والقدرة على
التحمّل؛ هذه العناصر لربما يراها البعض
شيئاً عظيماً في كليتها، ولكن ماذا عن
أجزائها؟ عندما تصبح غير قادرٍ حتى على
البكاء، وبين ليلةٍ وضحاها، يصبح حلمك كتلةً
من المشاعر الجريحة، قلبها راغبٌ في أن
يصرخ ويبكي فقط.

أردت الحديث عنهم، ولكنني لم أرغب في
فقدانهم.

سَتموت أنت وحننك في زاويةٍ مظلمةٍ، لن
يشعر بك ولن يفهم ألمك أحدٌ سواك؛ لا تنتظر
من الحياة ومن فيها أن يوأسيك، فإمّا أن
تنهض وتحارب، أو تتعفن حيث أنت.

الحقيقة لطالما كانت شخصية، ولن تكون
عامّة أبداً؛ بحيث إن الحقيقة هي المعتقد الذي
نقوم ببنائه من خلال تجاربنا في الحياة،
ومنظورنا إليها. مهما كان هذا المعتقد الذي
سنأخذه على عاتقنا، فما دام أنه على ركيزة
قوية، فهو الحق الأحق بالنسبة لكل شخص.

والشعر هو شعرُ مشاعرَ، وحديثُ مشاعرَ،
وليس بالضرورة قافيةً كافيةً لكلماتها الحافية؛
فهل للشاعر ألا يكتب ويحفظ عن ظهر قلب
ما لذّ ودبّ من عسل الكلمات، راغبًا في محبة
المال لسلطانته؟ وما كان لي سلطانٌ على
مشاعري إلا استجبتُ لحبر كلماتها وسمك
معانيها. بختي أني لستُ بالمتنبي، ولكنني
أتبني ما لا يقدر على تبنيه أيُّ أحد.

في النهاية، إنه مجرد كلام يهبّ مع مهبّ
الريح، نبتسم على صوته الرقيق؛ لأنني لا
أزال أبحر فوق معتقداتي ومبادئني.

بينما الكل يغوصون في أعماق أحلامهم، أنا
هنا عالق بين خواطري، أقوم بنقشها بين
أسطري لعلها تتركني أنام.

الحِكمَةُ تختارُ على عاتقِها من سيكونُ أهلاً
لحملِ سيفِها، فكيفَ لأعمادِ صدئةٍ مثلكم لها
الحقُّ في التعالي؟

شخصاً ما...
وأنا كذلك لن أقول «لمعرفتك»، فالمعرفة
تبقى مسطحة، ولكني سأقول «لمعاشرتك»؛
فإن تُعاشر شخصاً ينظر في عينيك عندما
يُحادثك، شخصاً يبتسم عندما يراك، شخصاً
لا يُفكر عندما يُحدِّثك... تلك العلاقة مع
الآخر هي أعقد من أن نحاول فهمها أو
تفسيرها في مستوياتٍ لا تحمل قيمتها
الحقيقية.

فعلقتنا بالآخرين هي أجمل ما في الكون؛
حتى الشعر والغزل والقصائد نُفِخَتْ في
صدورنا بسبب وجود الآخرين، سواء كانوا
أشخاصاً جيّدين أم لا.

ستُخبرني: كيف سنجد هؤلاء الأشخاص؟
سأخبرك: لن تستطيع ذلك؛ فأمثالنا وأمثالهم
لا يُبحث عنهم. فمن بحث عن الكنز في رمال
الصحراء عضّته العقارب والأفاعي، ولكن
من سار على درب الحق وهو خالي الوفاض،
كان الاحترام ماءه، والوفاء سيفه، والحق
ظلاً يحميه من أشعة الشمس الحارقة.

باختصار، نحن ننجذب لبعضنا كأنجذاب
البحر للقمر المنير، وليس كلُّ شخصٍ يستطيع
أن يرى ذلك القمر.

الشخصية تُحجبُ الجمالَ، والجمالُ يحجبُ
الشخصيةَ، أمّا المالُ فيحجبُ كليهما.

الإنسان بطبعه يميلُ إلى من يُقدِّمُ له الاهتمامَ
والمحبةَ، فإذا كان هو نفسه مُقدِّمًا لهذه القيم
لشخصٍ ما، فأتاه الاهتمامُ من نافذةٍ أخرى،
هربَ ونسيَ من كان مهتمًّا به في الأصل،
مُغيِّرًا اتجاهه نحو من يهبُّه الاهتمامَ والمحبةَ.

الأقوالُ لا تأتي من العدمِ أو بالتفكيرِ وحده،
بل من التجاربِ؛ فلا أحدٌ يُنتجُ شيئاً من لا
شيءٍ.

توجد الحقيقة لدى كلِّ شخصٍ عاقل، والحقيقةُ
ليست عامّةً وإنّما خاصّة؛ أي إنّ كلَّ ما تراه
من وجهةِ نظرك هو الحقّ، ولكن ليس كلُّ
شخصٍ على حقٍّ دائماً!

ما أدراك بأنك لا تملك خلافاً في عقلك؟ إنّ
تمسُّكك بمعتقداتك، ومقدرتك على الدفاع عن
أطروحتك، وأيضاً عدم شكّك في أنّك قد تشكّ
في الحقيقة التي لديك، ليس دليلاً على أنّك
على حقّ.

العاشقُ لا يموتُ، بل يُقتلُ، وقاتلُه قمرٌ يُخفي
نورَه عن عاشقِه؛ عاشقٌ يُسخِّرُ الشعرَ
والغزلَ ليصطَفُوا منتظرين نورَ ذلك القمر...
فهل سيُضيء يا تُرى؟

لا تجعل حياتك تمرُّ بشكلٍ صامت، اجعل لها
لحنًا موسيقيًا دافئًا كنسيم الرياح، يطمحُ إليه
الجميعُ راغبين في إشباعِ مشاعرهم الجافّة.

لا تعتمد على ما هو ليس من ممتلكاتك وتبني عليه سعادتك، وأيُّ شيءٍ خارجيٍّ لا تجعله من سعادتك، وإنّما من فرحتك فقط.

فلو كان مالاً، فماذا سيحدث لك إن لم تُصبح ثرياً؟ وإن كان شخصاً أحببته، فما أنت فاعلٌ إن لم يكن من نصيبك؟ وأنت تعتقد أنّ السعادة هي المال أو الحصول على شخصٍ تحبّه.

فبدل النظر إلى الموضوعات الخارجية، لم لا تنظر قليلاً في نفسك، وستجد حقاً معنى السعادة.

ولأننا المختارون من طرفِ مُذكَرَةِ الخواطرِ ،
اللامتناهيةِ مشاعرُها، فقد اعتدنا أن نُصبح
ذلك التيارَ الذي يأخذ بكلِّ تلكِ السّوداويةِ نحو
أوراقنا الإلكترونيّة، التي هي الأخرى لا نعلم
أين سيسمو بها تيّارُنا؛ الهادئُ تدفُّقه، والدافئُ
نبضُه.

تاركين كلَّ مثقالِ ذرّةٍ من همومِ، ومع ذلك
تعلو دائماً الابتسامَةُ في وجوهنا؛ ابتسامَةُ
حزينةٍ تُخبرهم: أنتم لم تُجربوا فتاتَ ما
عشناه، ولكن مع ذلك نتحمّل النومَ فوق سريرِ
الصبّارِ ذاك.

فنحن في الأخير، هم المختارون.

عندما نحصل على علاقةٍ بين طرفين، فإذا
كان أحدُ الطرفين غيرَ مكتملٍ، تنبثقُ ثغرةٌ في
تلك العلاقة، ومع مرورِ الوقتِ ستُخرَّبُ تلك
الثغرةُ كلَّ شيءٍ.

ولا زلتُ أبحثُ عن نفسي في نفسي التي
وجدتُها.

التُّخْمَةُ تُؤَلِّدُ الْيَأْسَ، وَالْيَأْسُ يُؤَلِّدُ عَدَمَ الْمُبَالَاةِ،
وَعَدَمُ الْمُبَالَاةِ يَقْتُلُ حَرَارَةَ شَغْفِكَ.

ولكن ماذا لو كان لديك جوهرٌ؟ جوهرٌ يصبو
نحو هدفٍ سامٍ، ينجذبُ كَانْجِذَابِ الْبَحْرِ لَيْلًا
نحو القمرِ. فقط تَخَلَّ عن كلِّ ما هو عابِرٌ من
خلالِ بَصْرِكَ، وانقُضْ بِأَنْيَابِ إِرَادَتِكَ عَلَى
كلِّ ما هو أَسَاسِيٌّ بِبَصِيرَتِكَ الْدَاخِلِيَّةِ؛ فما
تحتاجه ليس هو ما تُرِيدُه أَنْتِ.

في بعض الأحيان يجب أن تترك العُصْفورَ
يُرفرفُ بجناحيه لكي يعتمدَ على نفسه،
ويحملَ على عاتقه حجرَ المسؤولية.

ليس وكأني أرفضهم، ولكني أُلبي رغباتهم
بطريقة تُذكّرهم أنهم تذكّروني فقط لرغباتهم؛
حتى لم يُعدُّ أحدٌ يأتي إليّ، وهذا أفضل...
أفضلُ حقًّا أن ينساني الجميع.

ولكن يومًا ما سيتذكّرونني بإنجازي الذي
سيظهر علنًا، ويا حسرتاه! عند قدومهم إليّ
آنذاك، سأكون أنا من نسيهم.

وكانَّ النومَ قد يُخَفِّفَ عَمَّا يُؤَلِّمُكَ... الأمرُ
أشبهُ بتناولِ مُسَكِّنٍ للألمِ فقط، وفورَ انتهاءِ
ذلكِ المفعولِ، مرحبًا بكِ في المعاناة؛ تعالَ
واستكْمِلِ ما كنتَ عليه.

اسألِ نَفْسَكَ، أَجِبْ نَفْسَكَ، جِدْ نَفْسَكَ، عَاتِبْ
نَفْسَكَ، شَجِّعْ نَفْسَكَ، وافهمِ نَفْسَكَ؛ عندها
سُتُصْبِحُ منيعًا أمامَ أيِّ شيءٍ قد يُفاجئُكَ.

الحديثُ مع نفسي عائداً كما ابتدأتُ خواطري،
التي كانت سببَ رحيلِ أحزاني. ولا أكوننَّ
من الكاذبين؛ إنِّي قائلٌ إنِّي لم أشتقُ لها. هي
أحزاني التي نمتُ وأنجبتُ في صدري عزّةً
وقوّةً، تحتمي بها نفسي، وخواطري حجاباً
يحجبُ كلَّ ما كان بالإمكان أن يضرّني.

والإنسانُ دائماً وأبداً يعودُ إلى الأصل؛ فكما
أنّه يعودُ إلى التاريخِ الأصيلِ والزمنِ القديمِ
لكي يفهم ويعرف، ففي ذاته الإنسانية أيضاً
يعود: كانت ضعيفاً، فتكبرُ وتشيحُ، ثم تعودُ
ضعيفاً كما في صغره. وكما أنّه من ترابِ
خُلُق، فللترابِ عائداً.

لم أجد من أدلي برأسي على كتفه، فوحيد
قلبي كان قلمي؛ كنتُ أفرغ دلو الحزن في
كلماتي التي سميتها خواطر. كان لخواطري
حزنٌ يفيض من كلماتها، وجمالٌ يقطر من
تعبيراتها.

كتبتُ يداي وكتبتُ، ولنهرِ خواطري جفّ في
طريقي. بالحبّ التقيتُ، فجرحتُ جرحًا كبيرًا
فاهتديتُ؛ حزنتُ، وكانت نتيجة الحكمة التي
ألّفتُ في السكينة.

لم أقرأ الشعرَ ولا الغزلَ يومها، ولكني ها أنا
هنا الآن كاتبٌ لها؛ كتبتُ شعراً وتغرّلتُ في
كواكبي، وفي عشقِ القفصِ تأنيثُ. في

محاسني قرأتُ ثم قرأتُ، ولمحصّلة معارف في
أفرحتُ.

وبينما أنا الآن كاتبٌ لمسيرتي، تغلغلَ الدفءُ
والدمعُ في بصيرتي.

الحبُّ بمثابةِ أحدِ العناصرِ الأربعةِ، لذلك
وجبَ اختيارُ ما هو من نفسِ العنصرِ، أو ما
يمكنُ أن يُحقَّقَ فيه اندماجًا بحيثُ يُولِّدُ لنا
جوهرًا لامعًا في طيَّاته، وليس كالماءِ والنارِ.

أنت مسؤولٌ عن حياتك في كلِّ شيءٍ يحدثُ
لك، صغيرًا كان أم كبيرًا. ولا وجودَ لشيءٍ
يُسمَّى الحظُّ؛ فجميعُنا نمرُّ في حياتنا
بإختيارات... اختياراتٍ دائمة، ففي كلِّ لحظةٍ
نختار، وبفعلِ تلك الاختيارات تُبنى حياتنا.

لذلك كن واعيًا بذاتك أوَّلاً قبل أن تختار أيَّ
إختيار، لأنَّ ذلك قد يودِّي إلى إتلافك. وشيءٌ
آخر: اسأل نفسك دائماً... لماذا؟

لم يَعُدْ كما كان، وهو في بحرِ اللامكانِ يبحثُ
مُجِدِّقًا عن الأنوارِ؛ ظلُّه تحته يستنجدُ باسمه
الذي خان العهدَ ولم يصُنْه. أين كنتَ والدهرُ
في يَأْكُل؟

ماذا بي فاعلٌ وأنا مجردُ ظلٍّ يتبعُ خسرانك،
وها أنت ترغبُ في حرقِي بحثًا عن النورِ؟
أيُّ نورٍ هذا، وقد جعلتني أسودَ اللونِ خلفَ
ظهرك، وأنا الذي كنتُ نورَ عينك التي تُبصرُ
ببصيرتك التي لم تكن تملكِ؟ يا أسفاه!

غلق الباب

الباب الذي لا يغلق

هو الله بي سجانه

أحبتُّ وأحببتُ، ومن ثم كتبت، وتغرّلت،
وبالشعرِ هلّلت؛ فوالله، ثم والله، ثم والله، إنّي
عند جلالِكَ وعظمتِكَ، وعند ذكرك، عجزتُ.
فبأيِّ صفاتِ أصفُكَ، وأنتَ الرحيمُ الذي يرحمُ
من عباده من يشاء، وأنتَ اللطيفُ الذي
بلطفِهِ يلطفُ بكلِّ شيء، وأنتَ الغفورُ الذي
يغفرُ كلَّ شيء، وأنتَ القويُّ الذي لا يقوى
عليه شيء، وأنتَ الحكّمُ الذي يحكمُ كلَّ
شيء، وأنتَ الملكُ الذي لا يعلو عليه شيء،
وأنتَ الرحمنُ الذي وسعتُ رحمتهُ كلَّ شيء،

وأنت القدّوسُ الذي لا يتلبّسه عيب، وأنت
السلامُ الذي في حضرته يسلمُ كلُّ شيءٍ.
فسلامٌ على كلِّ من اهتدى باللهِ سبحانه.

كنتم في عالمي الخاصّ، المليء بالمشاعر
المختلفةٍ منابغُها؛ ألقاكم في عالمٍ آخر بإذنِ الله.

سفيان شهب

سفيان لشهب

gmail : lachhabsoufiane47@gmail.com

instagram : souf.lbe

حب

لطالما اعتبرت أن المشاعر لما كينورتها انطاسة، أو بشكل آخر المامية التي عليها أو انطاسية

التي عليها، وعلى أنها عبارة عن نواة أو جوهر تشكل وتغير حسب مختلف السياقات

والمواضيع.

تظهر أحياناً على شاكلة الحزن وحين آخر في السعادة، وعندما تقول تظهر أو تغير أو تشكل

فإننا نتحدث عن الحالة الأساسية أي أنها انتقلت من حالة مستقرة إلى حالة متغيرة عن ما

هو معروف، وربما تقول بأن هذا الوضع المستقر قد يكون هو الوضع السوي، مع العلم أن

هذه الأخيرة لم يتم تحديدها أو تعريفها بشكل دقيق من قبل خبراء مختصين،

فالمشاعر عند مظهرها من خلال التفاعل سواء داخلي أو خارجي مع العلم أن كل ما هو

داخلي مرتبط بكل ما هو خارجي، فيمكن لهذه المشاعر أن يتم استثمارها بشكل سوي أو

غير سوي بشتى المواضيع المرتبطة بها، وعليه فإن هذه الأخيرة تنتج علينا نتائج عديدة قد

تضر بذاتك النفس، فإن غاب الوعي أخذ بك العقل نحو نتيجة غير معلومة، وإن حضر

أخذت بيد مشاعرك نحو طريق تسلكه وعلى علم بما ستؤول إليه الأمور نسيباً، فبما أنا

اختبرت بحر مشاعر لا نهاية لها مُفِرِّداً إياها وكأنها مطر خفيف على قلبي، تارة دافئ وتارة

ساخن وبارد، أجوب بها الرياح نحو كل جنان تمطر فيه، وتزرع فيه الحبة والسرور.

وأنت ماذا عنك؟